

القنوات الفضائية وانعكاساتها على قيم الشباب

سفيان ساسي و منية غريب

جامعة الطارف

الملخص:

لقد أدت التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيا الإتصال والإعلام الحديثة إلى خلق العديد من المخاوف وإثارة الكثير من الجدل حول مخاطرها الثقافية والاجتماعية الناتجة عن مضامين هذه الوسائط، والقادمة إلينا في شكل برامج، حصص ألعاب، ومواد مسموعة ومصوّرة، مستوردة من الدول الأجنبية، والتي يكون لها تأثير على قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا السائدة داخل المجتمع، حيث أن القنوات الفضائية الرقمية التي حلّت في بيت كل جزائري والتي يأخذ منها الأطفال والشباب بما تبثه يومياً، حيث سنجيب من خلال هذه الورقة البحثية على التساؤل التالي: ما هي انعكاسات متابعة القنوات الفضائية على قيم الشباب؟

Abstract

developments has led in the field of technology communication and modern media to create many of the fears and provoke a lot of controversy about the dangers of cultural and social resulting from the contents of these arguments, and next to us in the form of programs and quotas and games and materials audible and photographer, imported from foreign countries, which have an impact on our values, customs and traditions and prevailing within the community, as the satellite digital dissolved in the house of every Algerian and that takes them children and young people including broadcast day, where we will answer through this paper the following question: What are the implications of follow-up satellite TV on the values of young people? .

المقدمة

لقد أدى ظهور القنوات الفضائية وسهولة انتشار البث الفضائي الذي يتزامن مع تنوع الجهات الداعمة والممولة لهذا البث من حكومات، رجال أعمال، شركات متعددة الجنسيات، أحزاب سياسية وجمعيات مما جعل

هنالك تنافساً شديداً بين هذه القنوات للإستحواذ على أكبر عدد ممكن من المشاهدين، ومما ساعد في ازدياد حى التنافس نجد التطوّرات الكبيرة التي تحقّقت في مجال تكنولوجيا الأقمار الصناعية، وتتسابق هذه القنوات لتوفير أفضل الوسائل لجذب المشاهد على مستوى شكل البرامج ومضمونها، لاسيما أن المشاهد سيجد أمامه أكثر من آلاف الاختيارات، وفي ظلّ هذا التدفقّ الذي لا تحدّه حدود فإنّ اختياره ستحكمه في الغالب عوامل عدّة، ما يجعل المشاهد يحوّل مؤشّر جهازه نحو المحطّة التي تستهويه وتلبي رغباته، وفي إطار مواكبنا للمناقشة الفكرية الدائرة حول روابط التداخل المعقّدة بين ما تقدّمه هذه القنوات الفضائية وقيم جمهورها من الشباب سنحاول الإجابة على التّساؤل التالي: ما هي انعكاسات متابعة القنوات الفضائية على قيم الشباب في الجزائر؟ ولمعالجة هذه الإشكالية تم تقسيم الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: المدخل المفهومي و النظري.

المحور الثاني: القنوات الفضائية في المجتمع الجزائري.

المحور الثالث: تأثير مشاهدة القنوات الفضائية على الشباب الجزائري.

أهداف الدراسة:

يسعى الباحثان من خلال هذه الورقة البحثية الوصول الى الأهداف الآتية:

- الهدف الرئيسي من هذه الورقة البحثية هو محاولة فهم تأثير القنوات الفضائية إيجابياً وسلبياً على قيم الشباب في الجزائر (القيم الاجتماعية والثقافية) داخل النّسق الإجماعي الذي ينتهي إليه.

- تشخيص مدى استفادة الشباب في الجزائر من القنوات الفضائية في حياتهم اليومية، التعليمية، العلمية والمهنية، ومدى تفاعلهم مع محتوياتها وبرامجها.

- معرفة أهمّ العوائق والعراقيل التي تقف أمام الاستفادة الإيجابية للشباب من القنوات الفضائية.
- التعرف على الإطار الأيديولوجي الذي تعبّر عنه القنوات الفضائية العربية والأجنبية في تناولها لمتطلّبات وحاجات الشباب.
- تحديد الجوانب السلبية في برامج القنوات الفضائية واقتراح سبل تجاوزها، وتحديد مواضع التميّز فيها.

1. القنوات الفضائية:

يشكّل البثّ الفضائي اليوم عصب الإتّصالات الدولية، فقد ألغيت المسافات وأصبح الإعلام الفضائي يشكّل قضية سياسية في عصر تكنولوجيا الإتّصال، حيث أتاحت الأجهزة الإتّصالية المتطوّرة اليوم الإتّصال السريع والمباشر، ومعايشة الأحداث، وقد أصبحت القنوات الفضائية من الموضوعات التي تشغل اهتمام صنّاع القرار والرأي العام، كونها وسيلة من أنجح الوسائل وأضمنها وأكثرها تأثيراً لتحقيق الإتّصال المطلوب، وبلا شكّ فالقنوات الفضائية اليوم تمثّل أكبر وأخطر إنعطاف في ثورة الإتّصالات.

وإزاء هذه التطوّرات المتواصلة في تكنولوجيا الإتّصالات، شهدت القنوات الفضائية تطوّرات متسارعة وتحولات جذرية وعميقة بفعل الثورة الرقمية واتّساع عمل أقمار الإتّصال، التي فتحت آفاقاً كبيرة أمام إمكانية إنشاء قنوات تلفزيونية متعدّدة، ومازالت تطوّرات الإتّصال جارية لتسهيل عمليّة وصول البثّ المباشر إلى المشاهد بوسائل سهلة ورخيصة، ويمكن تصنيف القنوات الفضائية حسب التخصّص، إلى ما يلي:

- قنوات الموسيقى والمنوعات: هي القنوات التي تبثّ مواد موسيقية ترتكز أساساً على الأغاني المصوّرة، ونقل الحفلات مباشرة أو مسجّلة.
- قنوات الدراما: تبثّ مسلسلات، مسرحيات وأشرطة سينمائية، ونشير إلى أن عدداً من القنوات الدراما العربية هي قنوات عرض فقط أو إعادة عرض

لإنتاجات درامية غربية مترجمة إلى العربية، ونذكر على سبيل المثال قنوات
MBC2 Super Movies – Super Comedy على شبكة ART.

- قنوات رياضة: تهتم بنقل التظاهرات الرياضية العالمية مع التركيز على
مباريات كرة القدم، وتتنافس القنوات المشفرة الخاصة على احتكار حقوق
بث مقابلات أبرز المنافسات الأوروبية والدولية.

- قنوات التعليم والمعرفة: تعرض برامج تعليمية موجهة إلى الطلبة أو
التلاميذ من مختلف المستويات باعتماد طرق بيداغوجية متعدّدة ووسائل
تقنية متطورة.

- قنوات الأسرة والطفل والمرأة: ونجد العديد منها غربية، في حين نجد
القليل منها عربية مثل: قناة الأسرة والطفل، وكما نجد أن قنوات محدّدة
تتوجّه إلى المرأة العربية مثل: (قناة هي)، ويبلغ عدد القنوات التي تتوجّه إلى
الطفل تقريبا 10 قنوات من أهمها: ART للأطفال، Space Toon، المجد
للأطفال، وتعرض هذه القنوات في جزء مهم من برمجتها الرسوم المتحركة
المديبلجة على الأغلب.

- القنوات الإخبارية: هي القنوات المتخصصة في الأخبار من خلال مواعيد
قازة للنشرات والبرامج الإخبارية، وهي متوقّرة بكثرة على مختلف الأقمار
الصناعية.

- القنوات الدّينية: هي قنوات ملتزمة بنهج عقائدي لا تخرج عنه في كلّ ما
تقدّمه إلى مشاهديها من متبّي العقيدة أو المذهب أو الخط الإيديولوجي،
وتعتمد هذه القنوات إلى معالجة القضايا المطروحة بطرق شتى، قد تكون
سردية، حوارية، درامية أو وثائقية، ولكنها في كل الأحوال لا تحيد عن
التخصّص العقائدي ولا تنظر إلى المسائل إلا من منظار ما تدعو إليه.

- قنوات خاصة بالأفلام: ونجد على سبيل المثال: mbc2 وONE TV وقنوات
الأفلام على ART بكل أشكالها وتنوّعاتها، وهي قنوات تعتمد بثّ الأفلام
الأجنبية والعربية المديبلجة أو المترجمة، بالإضافة إلى القنوات المشفرة على
شوتاييم (SHOWTIME).

- قنوات الخدمات: ويصنّف ضمن هذا المجال القنوات المهتمة بالموارد البشرية وتنمية القدرات الفردية (Smarts Way) وبشؤون العقار والسياحة، والخدمات العقارية، وهي في إنتشار كبير، مثل: قناة مصر السياحية وقناة العقارية 1 والعقارية 2، ABC.

- قنوات الثقافة والفنون: هي القنوات المهتمة بالمجال الثقافي، بمختلف تفرّعاته من كتابة ورسم ورقص وتراث، وفنون درامية.

- قنوات تفاعلية: وهي قنوات تبتُّ الإرساليات القصيرة للمشاهدين وهو ما يوفّر فرصة للتخاطب بين المشاهدين، وقد ابتكرت قناة تسلية طريقة جديدة في التخاطب إذ تقرأ الرسالة من قبل رسوم كارتونية عبر برمجية معلوماتية.

- قنوات تلفزيون الواقع: تعتبر قنوات تفاعلية تنقل تفاصيل الحياة اليومية لمجموعة من الأشخاص يتسابقون للفوز بلقب مجال المسابقة: نجم الغناء (قناة ستار أكاديمي) وعروس الهوا سوا (قناة عالها سوا).

- قنوات الإقتصاد: تنقل الأحداث الإقتصادية والمالية على السّاحتين العالمية والعربية، ونلاحظ هنا وجود قنوات عدّة عربية متخصصة في هذا المجال، في المقابل تبتُّ شبكة CNBC الأمريكية قناة بالعربية (CNBC العربية) وتبثّ المعلومات المالية والتجارية باللّغة العربية على مدى أربع وعشرين ساعة.

- قنوات علمية وطبيّة: وهي قنوات تخدم كافّة أفراد الأسرة وتتوجّه إلى مختلف الأعمار من خلال عرض برامج صحيّة وتربوية وبسط لأبرز المشاكل الصحيّة التي يواجهها الإنسان.

وقد استثني من هذا التصنيف القنوات ذات المحتوى المتنوع وكذلك القنوات السياسية التي تحمل رسالة سياسية معارضة أو مؤيدة لإتجاه محدّد، والقنوات الإباحية التي تعبّر عن الشّكل السلبي والممنوع والمحظور في ثقافتنا العربية والإسلامية وقنوات التسوّق لأنّها عبارة عن فروع لمؤسّسات علمية، وشركات ومجموعات عربيّة خاصّة لا تعبّر عن مضمون إيجابي أو سلبي وإنّما تعبّر عن دعائية لمنتوج معيّن، كما أنّ هذا التّصنيف لم يشمل

القنوات التي تبثّ لفترة زمنية محدّدة لتغطية حدث معيّن ثم تنقطع عن الإرسال.

كما يمكن تصنيف القنوات الفضائية حسب الشكل الى:

- قنوات فضائية مجانية: هي القنوات التي تبثّ برامجها بصفة مجانية ومباشرة دون تشفير.

- قنوات فضائية بالاشتراك: تعتبر قنوات خاصّة تبثّ برامجها عبر الأقمار الصناعية إلّا أنّها تستخدم إحدى الطرق لدفع إشتراكاتها، والتي تكون إمّا شهرية أو سنوية، أو تستخدم جهاز استقبال خاصّ بها من أجل فك الشفرة الرقمية.

2. الفضائيات العربية:

دخل العرب عصر بثّ القنوات الفضائية من خلال المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية (عربسات)، التي أنشئت سنة 1985، وقد تمّ إطلاق الجيل الأول من (عربسات-1) الذي تكوّن من أربعة أقمار أحدها قمر إحتياطي يبقى على الأرض يطلق عند الحاجة، وقد أطلق القمر الأول في 8 فيفري 1985، وأطلق الثاني (عربسات-B1) في 18 جوان 1985، وأطلق القمر الثالث (عربسات-C1) في 27 فيفري 1992، وتضمّن الجيل الثاني من عربسات قمرين، أطلق الأول منها في 9 جويلية 1996، وأطلق الثاني في 13 نوفمبر 1996.

قد ساهم القمر الصناعي العربي في الدّفع بالدول العربية لتأسيس قنوات فضائية خاصّة بها، بدأتها القنوات الحكومية التي انطلقت مع الفضائية المصرية (ESC) التي بدأت بثّها بشكل منتظم في 12 ديسمبر 1990، لتتوالى بعدها تباعا الفضائيات التي أسّستها الحكومات العربية والنّاطقة باسمها، المهتمّة بتغطية الأخبار المحليّة والإقليمية، وهي في محتواها ومضامينها نسخاً طبق الأصل عن القنوات التلفزيونية الأرضية التّابعة لكلّ دولة، وهو ما دفع بكثير من أرباب الأعمال والمال لفتح قنوات خاصّة، وهي التي فتحت الباب أمام القنوات المتخصّصة للتمييز والتغاير عن الفضائيات الحكومية التي

تتسمكها بصفة العمومية في الطرح والمعالجة، ولتوجيه الإهتمام بالحاجات المتزايدة للمشاهدين في تلقي إعلام متخصص يستجيب لتطلعاتهم في المجالات العلمية والمعرفية والحياتية، لذلك تتميز معظم القنوات الخاصة بأنها متخصصة.

وفي هذا الصدد نشير أنه من خلال الإطلاع على الكثير من الدراسات،(المنصف العياري و محمد عبد الكافي، القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة: ص16) التي اهتمت بتوصيف القنوات الفضائية العربية المتخصصة، لاحظنا أن:

- حدود التخصص في كثير من القنوات الفضائية العربية غير واضحة تماما ونادراً ما نجد قناة عربية متخصصة بمعنى أن تقدّم مضمونا دقيق التخصص واضح المعالم.

- يضيق التخصص ويتسع في بعض القنوات لأسباب غير واضحة، علماً بالتردد في تقديم برامج موعلة في عملية التخصص، والرغبة في التمسك بالتوجه الشمولي لإتخاذ منهج يجمع بين الإثنين مستفيدة في ذلك بين مميزات الأول وخصائص الثاني في استجلاب الجماهير.

- انعدام الإحصائيات العلمية والمنهجية للقنوات العربية العاملة في الساحة بصفة عامة والمتخصصة بصفة خاصة، والمقصود بها الإحصائيات المواكبة للتزايد اليومي والمستمر في ظهور القنوات الفضائية العربية العامة منها والمتخصصة، وبالتالي تقديم معلومات محتشمة في هذا السياق قد تمسي اليوم تاريخية وقديمة.

إن ما تجدر ملاحظته أيضاً من خلال توزيع القنوات الفضائية العربية حسب مجالات التخصص، تداخل التخصصات في بعض القنوات ونمطية ما يعرض في بعض الأحيان، وذلك ما يتجلى بالخصوص في الفترات الإستثنائية مثل الأحداث السياسية: الحروب، النزاعات، الكوارث، ومثل المناسبات الدينية: شهر رمضان، ولا تتجلى بوضوح من خلال القنوات المتخصصة ملامح الجمهور المتوجه إليه.

بسبب الانتشار الواسع للقنوات الفضائية العربية، وهذا الكم الهائل من البثّ للبرامج، فقد غدا من الصّعوبة السّيطرة عليه وحتى متابعته من قبل المشاهدين، فكما جاء في التقرير السنوي للجنة العليا للتّسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعدّه إتحاد الإذاعات العربية لعام 2009، أن عدد القنوات الفضائية بلغ 696 قناة متعدّدة الأهداف والأصناف واللّغات، وتستعمل لذلك 17 قمرا إصطناعيا منها، عرب سات ونايسات ونورسات بالإضافة إلى الباقية العربية الموحّدة لتغطية مناطق العالم المختلفة، والموزعة على النّحو التالي:

جدول رقم (1) القنوات الفضائية التي تبثّها أو تعيد بثّها الشبكات العربية يوضّح أعداد القنوات الفضائية العربية الحكومية والخاصّة (التقرير السنوي للجنة العليا للتّسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعدّه إتحاد الإذاعات العربية لعام 2009، تونس 2010، ص 8)

شبكات القطاع الخاص		الشبكات الحكومية	
القنوات المخصّصة	القنوات الجامعة	القنوات المخصّصة	القنوات الجامعة
438 قناة	161 قناة	48 قناة	49 قناة
المجموع 599 قناة		المجموع 97 قناة	
مجموع الفضائيات التي تبثّها أو تعيد بثّها الشبكات العربية 696 قناة			

من الجدول أعلاه يتبيّن أنّ هناك 97 قناة حكومية، منها 49 قناة جامعة و48 قناة مخصّصة، أي بزيادة 28 % عن تقرير عام 2007/2008، وهناك 599 قناة خاصّة، منها 161 قناة جامعة و438 قناة مخصّصة، أي بزيادة 40 % عن تقرير عام 2007/2008، علماً أنّه في مطلع التسعينيات من القرن العشرين كان عدد الفضائيات العربية العامّة والخاصّة لا يتجاوز أصابع اليد، ومع نهاية سنة 2009، بلغ عدد الهيئات العربية التي تبثّ أو تعيد بثّ

قنوات فضائية على شبكاتها حوالي 398 هيئة منها 26 هيئة حكومية، و 372 هيئة خاصة. (المرجع نفسه: ص7)

كما أنّ هذا الجدول يمثّل أعدادا تقريبية، والأعداد الحقيقية أكثر من ذلك بسبب وجود فضائيات دخلت طور الخدمة دون أن يكون لها ترخيص، والبعض الآخر لم يتمّ تحديد بثّه هل هو فضائي أم أرضي، وبعضها فضائيات حديثة لم يشملها الإحصاء هذا بسبب عامل الوقت.

3. ظهور القنوات الفضائية في الجزائر:

قد أشارت الدّراسات التي أجريت في هذا الصّدّد إلى أنّ ظاهرة انتشار الهوائيات المقفّرة في الجزائر بدأت بشكل ملفت للانتباه مع بداية سنة 1990، وانتشرت بشكل سريع وواضح خلال عشر سنوات، وأن نسبة الإقبال على القنوات الأجنبية كانت في تزايد مستمر عكس المشاهدة للقناة الوطنية (البث الأرضي)، التي تضاءلت مساحة مشاهدتها تدريجياً حتى تكاد تنعدم في بعض الحالات وعند بعض الأسر، (Lotfi Meherzi, Sondage sur les N.T.C en Algérie, Revue Algérienne de Communication INSIC, Ud Alger (03), 1989, P65) وفي نفس السّياق أشارت الدّراسات التي أجريت في الجزائر خلال السنوات 2005-2009 إلى أن الرّصيد الزمني المخصّص للمشاهدة قد عكس تحولات كبرى تجسّدت في انخفاض معتبر لحجم مشاهدة القنوات التلفزيونية الوطنية (الأرضية والفضائية) مقابل ارتفاع واضح لحجم مشاهدة القنوات الفضائية العربية منها والأجنبية.

إن بداية التحوّل في بنية سلوك المشاهدة لدى الفرد الجزائري يتّضح بالخصوص من خلال تفاعل المشاهدين مع أصناف القنوات والبرامج العربيّة والأجنبية على السّواء مقارنة بتفاعلهم مع البرامج الوطنية (المحلية)، وقد أظهرت الدراسات تفتح العيّنات المستجوبة على القنوات الفضائية العربية الخاصّة، مثل: قناة (MBC) وقنوات الجزيرة الإخبارية ودرجات أقل على القنوات الغربية وبالتّحديد القنوات الفرنسية مثل قنوات فرنسا العامة والخاصة، وقنوات (CANAL)، وبالإضافة إلى تفتح الجمهور الجزائري على القنوات الفضائية العربية منذ بداية 2002، في مقابل إقبال أقل منه على

القنوات الفضائية الغربية التي تسهوي على نسبة أقل من المشاهدين في الجزائر وبخاصة المثقفين الفرانكفونيون ومنتبجي الموسيقى المصوّرة الغربية، كما أن معدّل الرّصيد الزمني للمشاهدة اليومية لهذه القنوات يتعدّى الثلاثة ساعات يوميا في كثير من الحالات.

وقد أدّى انتشار القنوات الفضائية وتعدّها إلى نشأت اهتمامات خاصّة ومحدّدة لدى جمهور المشاهدين في الجزائر، ممّا أدّى إلى بروز الحاجة في الجزائر إلى بعث قنوات متخصّصة من حيث المحتوى وطبيعة الخطاب الإعلامي لتلبية الاحتياجات الذاتية لهذه المشاهد، وقد مكّن قانون الإعلام الجديد من خلق الفرصة للقطاع الخاص من الإستثمار في هذا المجال وتكريس ظاهرة الفضائيات الجزائرية المتخصّصة مثل: قناة القرآن، النهار، الشروق، ممّا سيخلق سباق محموم نحو الإهتمام بتقديم رسائل إعلامية إلى الجمهور الجزائري تراعي أذواقا مختلفة من الشّغف الجماهيري بالكتب والمطالعة، الأسفار والسياحة، العقّار، الفن، الطرب والغناء، الفيلم التسجيلي، الوثائقي، السينمائي والمسلسل التلفزيوني الطويل منه والقصير، القديم منه والحديث، أو الأخبار والأحداث اليومية، أو الفنون الرياضية والترويحية، وغيرها.

4. الإقبال علىالقنوات الفضائية في الجزائر:

في ظل التنوع للقنوات الفضائية المتخصّصة وتعدّد مجالاتها، فإن الجمهور من الشباب الجزائري ذا النظرة الثاقبة يجد أن القنوات الفضائية العربية على كثرتها وتنوعها تشكّل تنوعا عرضيا لما تحمله في الحقيقة من مضمون ورسالة إعلامية، فقد بلغ عدد القنوات الفضائية العربية سنة 2010 التي تبثّ عبر قمر نايل سات أكثر من 330 قناة وعلى عربسات 281 أي أن العدد قد يصل إلى 511 قناة مع حذف المكرّر بين القمرين، علما بأن هناك أرقام أخرى تبثّ قنوات عربية مثل: أسترا (ASTRA) والهوت بيرد (HOTBIRD)، فإننا نجد الدّراسات الميدانية التي تهتم بمتابعة الجزائريين للقنوات الفضائية، والإحصاءات الرسمية الوطنية والعربية منعدمة في هذا المجال، ويبقى السؤال مطروح ، لماذا لا تهتم الجهات المعنية بمتابعة إقبال مواطنيها

على القنوات الفضائية الوطنية، العربية والأجنبية؟ ولماذا عدم المبالاة في ما تحدّثه هذه التكنولوجيا من تأثير منظومة القيم الاجتماعية والثقافية لأفراد المجتمع الجزائري؟

إلا أننا ومن خلال استقراءنا لدراسات أكاديمية ميدانية تمّت على عينات من الشباب الجزائري، توصلنا الى ما يلي:

- يشاهد معظم الشباب الجزائري القنوات الفضائية مدة 2 - 3 ساعة في اليوم، ومن خلال إحصائية صدرت سنة 2009 لكثير من دول العالم عن مدة مشاهدة الفرد للتلفزيون تبين أن الجزائري يستغرق 169 دقيقة يومياً، (التقرير السنوي التقرير السنوي للجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعده اتحاد الإذاعات العربية لعام 2009، تونس 2010، ص8)

- تختلف اهتمامات الشباب في الجزائر من الذكور عن الإناث بمضامين البرامج التي يتابعونها، ففي حين ازدادت نسبة متابعة الذكور إلى البرامج الرياضية والفنية، نجد أن الإناث أكثر متابعة للبرامج الدرامية والمسلسلات والأفلام الدرامية وبرامج التسلية.

- أشارت بعض الدراسات أن المشاهدة للقنوات الفضائية في المجتمع الجزائري تتم بشكل فردي أكثر من جماعي.

- يشاهد الجزائريين القنوات الفضائية العربية أكثر منها على القنوات الأجنبية.

- يقبل المشاهد الجزائري على القنوات الفضائية أكثر في الفترات الليلية، وقد سجلت الفترة الليلية عند الذكور، فيما سجلت الفترة الصباحية والمسائية أعلى نسب المشاهدة فيها عند الإناث، أين نجد عندهن الفترة الصباحية تمثّل فترة الذروة في مشاهدة القنوات الفضائية.

- إن المشاهدة للقنوات الفضائية من طرف الشباب تتأثر بعوامل عدّة منها الظروف العامة في المجتمع، آراء الآخرين مثل: الأصدقاء، الزملاء، ولغة

الحوار والنقاش في القناة ويفضل بذلك الشباب اللّغة العربية. فالملاحظ في البرامج القنوات الفضائية العربية أنه يغلب على إنتاجها البرامجي الطابع الترفيهي المقلّد لما ينتجه الغرب، والأدل على ذلك الفيديو كليب الذي يبيّثُ على القنوات الفضائية العربية. والذي تقدّم فيه المرأة على أنّها سلعة للعرض وجذب الأنظار نحوها من أجل التّرويج للسلع الاستهلاكية التي يكون الهدف من ورائها دائما الربح السريع، وهذا ما يحط من كرامتها ويحرّمها من حقوقها المكفولة في المنظور العربي الاسلامي، الذي بوأها منزلة كبيرة في المجتمع الجزائري.

المحور الثالث: تأثير مشاهدة القنوات الفضائية على الشباب الجزائري.

نلاحظ أن القنوات الفضائية والإنترنت هي من أهم العوامل التي يقوم عليها التركيز في حياة الشباب الجزائري في وقتنا الحالي، وثمة علاقة وطيدة بين إزدياد الإقبال على هذه القنوات وسرعة التّغيير في المستويين الثقافي والروحي القيمي لديهم، وأولئك الذين يجهلون التاريخ جهلا تاما فقط، يمكن أن يعتقدوا أن القيم التي يحملونها عصبية على التّغيير، أو أن بإمكانهم قهر التكنولوجيا بهذه القيم، ذلك أن التكنولوجيا ليست مجرد آلات خرساء من المعدن والبلاستيك بل هي قبل كل شيء مجال ثقافي وأخلاقي يمتلك قدرة غير محدودة اليوم على الانتشار.

1. عادات وأنماط مشاهدة الشباب الجزائري للفضائيات:

تعرف عادات المشاهدة وأنماطها بأنها السلوكات الظاهرية التي يبديها الأفراد أثناء وبعد تعرّضهم للمادة الإعلامية، مكتوبة مسموعة أو مشاهدة، وقد كرّست القنوات الفضائية بما أتيج لها من تكنولوجيا متطوّرة في الإعلام والاتصال عادات وأنماط جديدة في مشاهدة برامجها وموادها المرسلّة عبر الأقمار الصناعية، فقد وفّرت للشباب المشاهد فرصا للانتقاء والإختيار لما يقدّم ويبثُّ، ولبّثت عنده الحاجات المعرفية والعلمية والثقافية والترفيهية، بل وخلقت عنده في بعض الحالات حاجات لم تكن موجودة من قبل، والواقع يؤكّد أن الشباب المنتبّع للقنوات الفضائية يصبح أكثر انتقاء لما يشاهد مع إمتداد فترة المشاهدة وطولها للبرنامج أو القناة، فالمشاهد في البداية يقبل

على كل ما هو معروض من برامج أو قنوات وهذا ما حدث للمشاهد الجزائري في سنوات التسعينات، والآن وبعد مرور أكثر من 20 سنة على ظهور الفضائيات المفتوحة أمامه أصبح ينتقي ما يشاهد، وأصبح لكل قناة جمهورها من فئة الشباب الذي يحرص على مشاهدتها، ولكل برنامج من برامج الفضائيات جمهوره الخاص به والمواظب على متابعته.

وتدل نتائج دراسات ميدانية عدة¹ على الإتجاه نحو متابعة الفضائيات العربية من طرف الشباب الجزائري، واتّسع حقل المشاهدة لبرامجها مع ما يذكر لها من سلبيات ونقائص، لأنها أصبحت في رأينا المنتفس القيمي الذي تهوي إليه أفئدة المشاهدين من الشباب، في ظل الإنحراف الكبير الذي يسجّل على بعض الفضائيات الأجنبية في معالجتها للقضايا والمشكلات الواقعية من منطلقات ثقافة غربية متطرفة.

إنقبال الشباب الجزائري منذ فترة على مشاهدة القنوات الفضائية العربية المتخصصة يرجع إلى عدّة أسباب أهمها قلة عددها في بداية ظهور الأقمار الصناعية، ونوعية البرامج التي كانت تقدّمها، والتي عرفت تحسنا ملحوظا خلال السنوات الأخيرة، خاصة مع ظهور برامج جديدة جلبت لهذه القنوات أعدادا متزايدة من المشاهدين، وبذلك استقطبت فئة الشباب أكثر بحكم الوقت الذي تمضيه هذه الفئة أمام التلفزيون، وإهتمام القنوات العربية بقضايا ومشكلات الشباب ومخاطبتهم باللّغة والأسلوب الذي يفهمونه.

2. القنوات الفضائية وقيم الشباب في الجزائر:

يتعاظم يوماً بعد آخر تأثير القنوات الفضائية في حياة الشباب الجزائري، فقد أصبح البعض منهم مدمناً على متابعة ما يبثّ من خلالها، بل تحوّلت

¹ ومن أهم هذه الدراسات، نجد:

- عبد القادر بن الشيخ، و محمد حمدان، دراسة الجمهور العربي والبلث التلفزيوني المباشر عبر القنوات الفضائية العربية، الوسط الحضري مثلاً، بحث مقدم لإتحاد إذاعات البول العربية- منشور، تونس، 1996.

- مجموعة باحثين، الجمهور العربي والبلث التلفزيوني المباشر عبر القنوات الفضائية، الوسط الحضري مثلاً، مجلة بحوث ودراسات، الصادرة عن اتحاد إذاعات البول العربية، العدد 42، 1998، ص 20.

- التقرير السنوي للجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعده اتحاد إذاعات العربية لسنة 2010، تونس 2011.

شيئاً فشيئاً إلى أن تكون المصدر الأول لثقافتهم وإطلاعهم على العالم الخارجي، مما يستوجب التوقف عند تأثير هذه القنوات، الإلتباه لها، متابعتها ودراستها باستمرار من قبل المختصين في الشأن الإعلامي والإجتماعي.

1.2. الانعكاسات السلبية:

أدى تنامي مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر في أوساط فئة الشباب إلى إحداث زعزعة في القيم المجتمعية، من خلال ما تبثه من رسائل إعلامية مختلفة داخل المجتمع، والتي تكون في غالب الأحيان مخالفة لما هو سائد داخل النظام الإجتماعي الجزائري المعروف بطابعه العربي والإسلامي من عادات، تقاليد، فنون، أعراف، سلوكات، معارف، أفكار، معايير، قيم إجتماعية وثقافية ودينية، وهذا ما يؤدي إلى حدوث اضطرابات متنوعة في سلوكات وأفكار الشباب من خلال تنازلهم عن العديد من القيم التي منبعها الثقافة الإسلامية، وتشربهم جملة من القيم التي جاءت بها هذه القنوات الفضائية تحت شعار التقدم، العصرية، الحضارة والموضوعة، عبر برامجها والتي تروج إلى العديد من القيم المادية والإستهلاكية، والتي يطبعها الإغراء والسهولة في عملية الحصول عليها ومن أهم هذه القيم السلبية الجنس، العلاقات الغرامية، الإختلاط، حب الظهور والبروز، الغرور، الكذب، النفاق، الجريمة، العنف، الكسل، الخمول، المشروبات المنعشة، التوكل على الآخرين، ضياع الوقت، إهمال الواجبات والإلتزامات الإجتماعية، الحرية الزائدة، عدم تحمّل مسؤولية الأعمال وتكوين أسرة، الهروب من الواقع، الإنتحار، الهجرة غير الشرعية، الإغتراب، العزلة، الوحدة، الإنطواء، وغيرها من القيم الغربية البعيدة عن ثقافتنا العربية الإسلامية من أفكار وافدة، ومستحدثة في منظومة الفكر القيمي للشباب الجزائري.

لقد أخذت ظاهرة المشاهدة المفرطة للقنوات الفضائية إلى القضاء على شعور الشباب الجزائري بالإنتماء إلى مجموعاته الإجتماعية - أسرة، جماعة أصدقاء، رفاق، زملاء، جيران، أو جماعات إنتماء- الذي كانت - في مرحلة زمنية ما- تنميه باستمرار الجلسات الجماعية والأسرية التي يلتفت حولها الأفراد في عمليات مشاركة، مناقشة وحوار، في إطار تكتل وتلاحم إجتماعي

وجماعات مجتمعية، تتناقل فيما بينها الموروثات الثقافية من قيم إسلامية، عادات عربية محليّة، تقاليد وأعراف، فالإدمان على القنوات الفضائية يكرّس ظاهرة الفردانية والانعزال لدى الشباب بمختلف فئاتهم العمرية، ومستوياتهم التعليمية، معلّين ذلك بأن متابعة القنوات الفضائية أو البرنامج المفضل أمر يتوجب فعله على انفراد وعدم مشاركة الآخرين هذه التجربة، وبذلك يرسخ لديهم التمحور حول الأنا.

والأمر الذي زاد سلبية بعض هذه القنوات الفضائية هو تخصيصها شريط من أجل إرسال إهداء أو الشات (Chat)، من خلال الرسائل النصية (SMS)، والذي يوضح الأثر السيئ لتبني قيم ثقافية غربية مبنية على التمزهر، ولذا نجد أن الكثير من القنوات الغنائية وقنوات الإعلان شهدت الكثير من التصرفات غير اللائقة، والتي تتضمّن عبارات غزل متعدّدة وطرق التوزيع أرقام الجوال أو ما يعرف بـ "الترقيم"، وتزايد عدد القنوات الفضائية التي تمارس هذا النوع من النشاطات، وعبر بعضها بأن ما يحدث هو استثمار تجاري من خلال الرسائل النصية، دون أن تبرر عدم وضع رقابة على الرسائل التي تردّها من المشاهدين، وأصبحت تجارة هذا النوع من الرسائل رائجة بشكل كبير مع ازدياد القنوات التي تستخدم هذا الأسلوب، وأكدت إدارات بعض هذه القنوات وخاصة الغنائية منها أن هذه الرسائل تدرّجها على القناة إذا ما اعتبرنا تكلفة الواحدة منها تساوي أكثر من 50 دينار جزائري.

ونجد الآثار السلبية للقنوات الفضائية لا ينعكس فقط على قيم الشباب في سن المراهقة بل يمتدّ إلى الشباب المتزوج، وخاصة في السنوات الأولى من الزواج، ففي دراسة أنجزت سنة 2010، توصلت أن ما تعرضه بعض القنوات الفضائية العربية، (محمود حسن، الفضائيات العربية و أثرها في تزييف الوعي الاجتماعي: العدد 339) كان السبب في أكثر من ألف حالة طلاق في الجزائر سنة 2009، بسبب إغراءات الإعلانات والمسلسلات المدبلجة، ونجد أيضا أن القنوات العربية في توجهاتها تطغى على مضمونها وجهة النظر التغريبية بكل وضوح، كالبرامج الفنيّة التي تروّج للأغاني والأفلام الغربية،

والبرامج الأجنبية المدبلجة ذات الطابع الاستهلاكي البحث، كتلك المخصصة لعرض تفاصيل حياة الأثرياء في الغرب، أو التي تخصص في كل حلقة عرضاً شاملاً لنجوم الإغراء في مجالات الموسيقى، الرياضة والفن وغيرها.

2.2. الانعكاسات الايجابية :

إن ما يثار من جدل حول الآثار السلبية التي أحدثتها هذه القنوات الفضائية على جماهيرها من الشباب الجزائري، من تغيير للقيم الاجتماعية والثقافية السائدة بقيم بديلة وأجنبية في المجتمعات ذات الخصوصيات الثقافية، لا يمكن نفيه إلا أن ما يقال عن الإيجابيات التي وفّرتها برامج الفضائيات هو المظهر الذي يكاد يسيطر على الآثار التي أحدثتها القنوات الفضائية على الجماهير العريضة.

فإننا نجد أن بعض القنوات الفضائية العربية مثلاً عملت على تدارك النقص الذي تعانیه نظيراتها الغربية، وأوجدت برامج تتمتع بثقافة عالية في مجالات معرفية متعدّدة، وحاول بعضها تكريس مظاهر المنافسة المحترفة من أجل إعلام عربي إيجابي مغاير لما كان سائداً في عهد القناة الواحدة والوحيدة، ومع سلبياتها تبقى هنالك بعض القنوات الفضائية العربية تعتبر إنجازاً إعلامياً يستحق التشجيع على مزيد من الإحترافية، والعمل المتواصل من أجل الإهتمام أكثر بتكريس تقاليد جديدة ومحترفة في الإعلام العربي الفضائي، فبعض الفضائيات المتخصصة قد أوجدت (على ما يؤخذ عليها من تقليدية وضعف في المحتوى والشكل) مشاهداً ناضجاً وواعياً وملماً بمجريات الأمور والأحداث، ومتواجداً في مجتمعه الكوني، يمتلك ثقافة واسعة حول أركان القرية الكونية وشعوبها ومناطقها وأحداثها ووقائعها وأمالها وآلامها اليومية، وأصبحت القنوات الفضائية حقيقة واقعية مؤثرة على حياة الجمهور المشاهد، وذلك بسبب الخصائص والمميزات التي تنفرد بها، أهمّها : (محمد نصر مهنا، في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعمولة الإعلامية والمعلوماتية: ص394)

- إن الإرسال عن طريق الأقمار الصناعية العالمية يمكن مناطق عديدة، من العالم المعاصر من متابعة ما يحدث في العالم.

- أنها تسهم في تطوير التبادل الثقافي والعلمي.
- أنها تتيح فرصا غير محدودة لأن تتعرّف الشعوب على الثقافات الأخرى.
- أنها توفر الوسائل العلمية لخلق نظام معرفي سريع وشامل يمكن من تحقيق التنمية الاجتماعية.

3. أساليب حماية قيم الشباب من مخاطر القنوات الفضائية:

إن البرامج التي تبث عبر القنوات الفضائية، والتي تستهدف فئات مختلفة من المشاهدين وبالأخص الشباب تدخل في صلب الصراع الثقافي العربي-الغربي، وأنها ذات تأثير قوي على المقومات الأساسية لهوية الشباب الجزائري وبناء شخصيته ووعيه وأفق مستقبله، كما أنها إحدى مصادر التنشئة الأخلاقية والثقافية له. نظرا لطول الوقت الذي بات يقضيه أمام شاشة التلفزيون، هذا المارد الضوئي الذي يتميز بإعتماده على سحر الحواس، إذ يمكننا القول أننا نعيش عصر الثقافة التلفزيونية، والتي من خلالها يكتسب الشاب ثمانية أعمار معلوماته كما تؤكد ذلك البحوث والدراسات العلمية، وتصبح 35% عند استخدام الصورة والصوت في وقت واحد كما تصل مدة الإحتفاظ بهذه المعلومات إلى نسبة 55%، وفق هذه المعطيات،(هالة كمال نوفل، دور القنوات الفضائية العربية في دعم القيم والقضايا القومية: ص 51-124) وبذلك تعدّ القنوات الفضائية من بين وسائل الإتصال الأهم والأخطر من ناحية التربوية والتوجيه والتنمية والتأثير الواسع.

لكن بإمكاننا أن نجعل من السلبيات التي تحملها القنوات الفضائية لمجتمعنا عموما وللشباب خاصة إلى إيجابيات يغتنمها لخدمة، ودعم قيمه وأرائه واتجاهاته، من خلال ما يلي:

- التوعية المكثفة للشباب بكيفية الإستفادة من القنوات الفضائية، وعدم ترك الشباب يواجهونها لوحدهم.
- تشجيع اختيار جلسات المشاهدة التلفزيونية العائلية، والتي تشجّع على الحوار، إبداء الرأي والتعليق على ما يعرض.

- التوعية بمخاطر بعض القنوات الفضائية من برامج ومواد إعلامية غريبة، الوافدة عن طريق البث الفضائي.

4. نتائج الدراسة: خلص الباحثان إلى جملة من الاستنتاجات التي يمكن إيجاز أهمها، في:

- أن القنوات الفضائية أصبحت اليوم مصدراً مهماً للإتصال، للثقافة، للتكوين المعرفي والثقافي، والإعداد الجماهيري لما تملكه من مزايا، وأصبحت القنوات الفضائية أحد المكونات القيمة الهامة في المجتمع بل وتتحكم في انتقاء مضامينها، ولذلك لها سمات إيجابية إذا أحسن استثمارها وسلبية إن تم الإلتفاف عليها أو إهمال تأثيرها.

- لقد أدى ظهور القنوات الفضائية المتخصصة إلى إتاحة الفرصة أمام الشباب الجزائري لإختيار البرامج التي يرغب بمشاهدتها، كما أن بعض القنوات الفضائية العربية أخذت تنافس القنوات الفضائية الأجنبية.

- إن منطقة المغرب العربي عموماً والجزائر خصوصاً تكتنز موروثاً ثقافياً هاماً، لم يتم تناوله وتفعله بشكل كافي ولم يتم استثمار القدرات والطاقات الكبيرة المتوفرة من خلال القنوات الفضائية العربية والجزائرية (العامة والخاصة)، التي تحتاج إلى تخصيص إمكانيات مادية ومشاركة فعلية من المبدعين الحقيقيين (الطاقات البشرية الجزائرية)، كما علينا أن نعلم أن البرامج السائدة في القنوات الفضائية الجزائرية في معظمها تقدم باللُّغة الفرنسية، ويشعر العديد من المواطنين أن البرامج الثقافية في الفضائيات الجزائرية لم تحقق حالة التواصل المطلوبة مع ثقافتهم، فالموسيقى المغاربية مثلاً مازالت غير متداولة بالشكل الكافي في العالم العربي، وأن الفضائيات الجزائرية تركز على أنواع مختلفة ذات صفة دولية دون الإنفتاح على موسيقى المغرب العربي.

5. توصيات ومقترحات:

- العمل على تأسيس قنوات فضائية عربية ثقافية متخصصة ومستقلة، وبمصادر تمويل من جهات عربية ذات نوازع ثقافية، تؤكد على الخطاب

الثقافي غير الخاضع للضغوط السياسية، الدينية والإجتماعية المختلفة، وبكادر تخصصي سواء الإداري أو الفني.

- الإهتمام بعرض البرامج الثقافية التي تجمع وتقرب بين الأديان والجنسيات والأعراق المختلفة، لخلق روابط ثقافية وجسور مشتركة وتنمي الروح الوطنية وأن تكون هذه البرامج ذات طابع عالمي.

- إيجاد قنوات فضائية وطنية وعربية، تتبنى تثقيف الشباب بالقضايا الإجتماعية مثل: حقوق الأطفال، وشرح القوانين الخاصة بحقوق الإنسان، والحريات الشخصية والمساواة.

- إنتاج برامج عربية مشتركة وإغنائها بتبادل الخبرات والمعارف، وزيادة التنسيق بين القنوات الفضائية العربية والوطنية، والإهتمام بمواضيع التراث العربي، والتوجه الجاد لتقديم برامج ثقافية مفتوحة على الثقافة العالمية ومتابعة ما يدور على الصعيد العالمي من أمور ثقافية، وتفعيل مشاركة المتلقين في البرنامج وتحسين المستوى الفني للتواصل مع الجمهور.

- إعادة تنظيم قوانين بث القنوات الفضائية بحيث تكون البرامج المقدمة أكثر تعبيراً عن الواقع، وتتناول ثقافتنا بسلبياتها وإيجابياتها، وأن تحاول الربط بين الأجيال الثقافية والأزمة المختلفة وتطورها.

- إنشاء لجان متخصصة من المبدعين والأكاديميين وخبراء وعلماء النفس الجزائريين للإشراف على إعداد البرامج في القنوات الفضائية العربية، لتكون فعلاً برامج للتثقيف وتطوير قدرات المتلقين، واختيار شخصيات مثقفة، ومن الرموز الثقافية المعروفة لتقدم، تعد وتشرف على إعداد البرامج الخاصة بالفضائيات العربية.

- الإهتمام الجدي بتقييم البرامج المقدمة في القنوات الفضائية، وتعد الدراسات الميدانية لذلك، وكذلك الإهتمام بالتخطيط لإعدادها ضمن ضوابط دقيقة مدروسة تراعي تنوع لمضامين وتجانس المواضيع المطروحة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- عبد الله بوجلال، أثر مشاهدة التلفزيون على القيم الثقافية والاجتماعية لدى الأطفال مجلة المعيار، كلية الشريعة الأمير عبد القادر، مجلة جامعة قسنطينة، العدد 07، ديسمبر 2003.
- 2- زكريا البرادعي، سفن الفضاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970.
- 3- محمد قيراط و محمد عايش، استخدامات واشباعات الانترنت، ثقافة الانترنت، وقائع ندوة علمية، الشارقة، 2006.
- 4- محمد العبد الغفور، الطفل. المدرسة والتلفزيون، دراسة تحليلية لمحتوى برامج الأطفال في تلفزيون الكويت ودورها في دعم القيم المراد غرسها في طفل المدرسة، جامعة الكويت، الكويت، 2000.
- 5- Gross, L., & Morgan, M., Television and ENCULTURATION IN Joseph, R., Dominick & James, E., Fletcher, (eds) Broadcasting Research Methods, (London, Allyin and Bacon, Inc., 1984).
- 6- المنصف العياري و محمد عبد الكافي، القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية 56، الصادرة عن اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2006.
- 7- التقرير السنوي للجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعده اتحاد الإذاعات العربية لعام 2009، تونس 2010.
- 8- Lotfi Meherzi, Sondage sur les N.T.C en Algérie, Revue Algérienne de Communication INSIC, Ud Alger (03).
- 9- التقرير السنوي للجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية الذي أعده اتحاد الإذاعات العربية لسنة 2009.
- 10- محمود حسن، الفضائيات العربية وأثرها في تزييف الوعي الاجتماعي، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 339، بغداد، 2010.

محمد نصرمهنأ، في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعمولة الإعلامية والمعلوماتية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

11- هالة كمال نوفل، دور القنوات الفضائية العربية في دعم القيم والقضايا القومية، دراسة ميدانية على عينة من الجمهور في محافظة قنا، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مج 6، العدد الأول (جانفي- جوان)، 2005.